اليهودية

(بقلم الدكتور هربرت لوي، من اليهود الإنكليز المحافظين، وأستاذ اللغة العبرية في كلية أكستر بأكسفورد)

اليهودية: وصفها

قد يصح أن نصف اليهودية بأنها أشد الديانات استمساكاً بفكرة التوحيد، ولكنها في الواقع أكثر من مجرد عقيدة عقلية جرداء، فهي الأثر الذي تطبعه هذه العقيدة، بكل نتائجها المنطقية، على الحياة؛ أي على الأفكار والسلوك. هي الدين الذي دعا إليه أولاً إبراهيم خليل الله، وتمثل في عهد الختان، وما يزال أنساله يمارسونه حتى اليوم. هي أقدم الديانات في الأرض، ولد في أحضانها ديانتان قويتان، سادتا أكثر أقطار الكرة الأرضية، وقد عملتا على إذاعة مبادئ اليهودية في أوضاع معدلة، ولكن جوهر تعاليمها يهودي، على الرغم مما بهما من إضافة أو حذف. من ثم لا نرى اليهودية تجحد تلك الديانتين، ولا تحسبهما باطلتين وثنيتين.

وليس من الهين أن نضع وصفاً دقيقاً رسمياً لليهودية، فإن هذا يثير أمامنا سؤالاً: ما الحد النهائي الأدنى لتطابق الوصف؟ على أنه قد يقال أن اليهودية تقوم على أساسين: هما وحدانية الله، واختيار

إسرائيل. وتنبذ اليهودية عبادة الأوثان والشرك بالله، وتؤمن بإله البشرية قاطبة ولكنها ليست ديناً جامعاً. وتؤمن أن هذا العالم صالح، وأن في وسع الإنسان بلوغ الكمال، وأن له أرادة حرة مختارة تجعله مسئولاً عن أعماله. ثم هي ترفض كل وسيط بين الله والإنسان، ولا تعترف بأية قوة في الكون تعمل الشر. فالإنسان في نظرها حر، ليس خاضعاً للشيطان. ثم أن خيرات الحياة المادية ليست في حد ذاتها شريرة، فالثروة قد تكون بركة وقد تكون لعنة وقد خلق الإنسان على صورة الله، لذلك تحسبه اليهودية مخلوقاً كريماً كسائر أعمال الله. ولهذا السبب عينه تحسب الناس كلهم أخوة. وكما اتحدوا في بداية الأمر، سيتشابكون معاً مرة أخرى في نهاية الدهر، ويقتربون إلى ملكوت السماء بمعونة إسرائيل ووظيفة اليهودية أن تنشر السلام والمودة في العالم.

ولقد منحت اليهودية الجنس البشري –بما انطوت عليه من فكرة الملكوت الإلهي الممكن إقامته في هذه الأرض على دعائم الحق والبر– رجاءً يرنوا إليه، وهيأت للتاريخ هدفاً يحيا به، ويجاهد نحوه مدى الأجيال. وتشهد شعوب أخرى في تطورات العالم انحلالاً مستمراً، من عصر ذهبي تغمره السعادة والرخاء، إلى عصر حديدي يشقى فيه العالم بالكد والعناء، إلى أن ينتهي الأمر بطامة كبرى تأتي فيها النيران والدمار على نهاية كل الأشياء، على الإنسان والآلهة معاً. أما اليهودية

فتومئ إلى حالة من الكمال الإنساني، وغبطة تتأتى عن كشف ما هو إلهي في الإنسان، وإعلان مجد الله كاملاً، كهدف نهائي يسعى إليه التاريخ.

وهنا الفارق البارز بين اليهودية والمسيحية. فمجال اليهودية ليس فيما وراء هذا العالم، أي عالم الروح، الذي لن يقدر الإنسان العائش هنا على الأرض أن يدركه. أما رجاء القيامة ورجاء الخلود، اللذان تعرفهما كل قبائل الشعوب وكافة العقائد، في وضع ما من أوضاعهما، وتحسبهما ضرورتين لازمتين، فالظاهر أنعهما قد انسابا إلى اليهودية من عقائد دخيلة، وربما أخذت رجاء القيامة عن الفرس أو بابل، ورجاء الخلود عن الإغريق. ولا سند لأيهما في اليهودية بالذات. أما غرضها الأوحد فهو أن تجعل هذا العالم الحاضر ملكوتاً إلهياً قائماً على الحق والبر. وفي هذا تتميز نزعتها العقلية والأخلاقية العملية[٣].

ويتحقق هذا الغرض بإصرارها على عقيدة التوحيد، وعلى ممارسة الوصايا، وتنقر اليهودية على وتر الأعمال أكثر من تنقيرها على وتر الإيمان، وأن تكن الأعمال لا قيمة لها بدون الإيمان.

---

(٣) وليست اليهودية عقيدة أو نظاماً من العقائد يتوقف على قبولها الفداء. أو الخلاص في المستقبل. ولكنها نظام للسلوك البشري وناموس البر الذي يتحتم على الإنسان إتباعه. (عن كوهار- في دائرة المعارف العبرية).

واليهودية ليست بحاجة إلى عقيدة إيمان. أجل أنه من المشكوك فيه جداً أن يُدعى الكافر الملحد الذي يحفظ التوراة ويرعى مبادئ البر اليهودية يهودياً. وما من شك أنه "يخلص" بالمعنى المسيحي، لأن اليهودية تعلم أن لكل بار، بغض النظر عن عقائده، نصيباً في العالم الآتي. ولكن لأن اليهودية تؤمن أن كل إنسان صالح "يخلص"، فإنها تحتم أن يكون اليهودي الصالح شيئاً آخر، أسمى أخلاقياً، من مجرد كونه إنساناً صالحاً.

وبينما تفتح اليهودية الباب للدخلاء، فمن طبيعتها أن تبقى دائماً دين الأقلية الضئيلة، وذلك بسبب ما تفرض من تضحية وإيثار. ووظيفة اليهودية أن تبقى وصية على المُثل العليا، طاهرة الذيل سليمة أما أعين العالم. ولزام على اليهود أن يحاموا عن مُثلهم العليا، ولو زهقت منهم الأرواح في هذا السبيل، ولو ضحوا، كما فعلوا في القديم، لا حياتهم فقط، بل رخاءهم المادي، وهي تضحية أقسى عليهم من سواها. وما أكثر الشهداء العتيدين الذين أزاغت أبصارهم الثروة المادية فلم يكترثوا بالمثل العليا التي كان لزاماً عليهم أن يبذلوا حياتهم في سبيل الاعتصام بها إبان الاضطهاد.

والعالم في مسيس الحاجة لأقلية من ذوي المثل العليا. ولئن تكن اليهودية لا تجحد الحق الذي تعلم به المسيحية والإسلام، إلا أنها تؤمن في الوقت عينه أن في كلتا الديانتين عناصر أخرى لا تنسجم انسجاماً

تاماً والمصدر البدائي الفطري الذي انبثق عنه هذا الحق. فاليهودية إذاً لا تناهض الأوضاع الدينية التي درج عليها الناس وألفوها وأحبوها، وليست علة وجودها أن تنافس الجهود التبشيرية الناشطة التي تقوم بها ابنتاها، الكنيسة والمسجد. وهي تحسب نفسها، لا الوضع الوحيد للحق، ولكنها أخلص أوضاعه كلها وأكثرها طهراً ونقاء. وبينا تنشط المسيحية، وينشط الإسلام، لبث تعاليمهما في العالم، فإن اليهودية تترقب حلول اليوم الذي تتمكن فيه من بذل نفوذها وإدخال تأثيرها على تينك الديانتين كما فعلت في الأصل، ومن هنا تبسط سلطانها على كل العالم.

أما كيف يحدث هذا، وفي أي وضع تكون العبادة الجامعة للإله الواحد، فهذا ما لم تتعرض لشرحه أو التعليق عليه. وهذا "الدين المحتقر" الذي يستمسك في الواقع بالبقية الباقية من البر، أو قل بجوهر البر، سيبقى مصوناً لا يتطرق إليه الفناء أو الفساد، بسياج الوصايا العشر. ولقد نشأ ونما، في حلقة متواصلة لم تنقطع، مبتدئاً بالاعتراف البسيط بالوحدانية. ثم تطور وغدا نظاماً للحياة كاملاً شاملاً. وقد بُدئ في كتابة القصة في عصر إبراهيم إلى يومنا هذا، والقلم لم يفرغ بعد من الكتابة والتدوين.